

مسكوكات الدولة الحفصية في تونس

كانت هزيمة الموحّدين في معركة العقاب بالأندلس سنة  
(609هـ = 1212م) نذيرًا بهبوط دولتهم وتدهور  
قوتهم، فلم تكن هزيمة تحل بدولة ثم ما تلبث أن تسترد  
عافيتها، ولكنها كانت كارثة مدوّية، فقدت الدولة زهرة  
شبابها وخالصة جندها الشجعان، وخسرت روحها  
الفتية المقاتلة وعزيمتها الماضية، وسرعان ما دب  
الضعف في كيان الدولة المترامي الأطراف في المغرب  
والأندلس، وظهر خلفاء ضعاف لا يملكون الشخصية  
القوية والإدارة الحازمة، فانفلت منهم زمام الأمور،  
وضعفت قبضتهم على إدارة الدولة، وأخفقت محاولاتهم  
في إعادة الأمن

والاستقرار للدولة، ونشأ عن ذلك أن استغلت القبائل المغربية هذه الفرصة السانحة، وأقاموا عدة دول بسطت نفوذها وسلطانها في منطقة المغرب، فقامت دولة بني مرين بالمغرب الأقصى (668هـ - 896هـ = 1269 - 1465م)، ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط - الجزائر وتلمسان - (637 - 962هـ = 1239 - 1555م)، والدولة الحفصية بأفريقية (تونس).

## أصل الحفصيين

تعتبر ولاية عبد الواحد بن أبي حفص على إفريقية تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس ، بعد تبعيتها السابقة للسلطنة الموحدية وعاصمتها مراكش ، ومما تجدر الإشارة إليه أن عبد الواحد بن أبي حفص لم يكن راغبا في تلك الولاية لولا إلهام الناصر الموحدي ، حتى يقبل تلك الولاية التي انحصرت فيه دون بقية رجالات السلطنة الموحدية إذ كان يستبعد أن ذلك التعيين كان المقصود منه إبعاد شخصية موحدية بعد السلطان عن حاشية البلاط الموحدي حتى يخلو لها الجو، و الواقع أن تلك الحاشية كانت تعلم ما يتمتع به بنو حفص من المنزلة و الاحترام لما لهم من دالة في بناء الدولة الموحدية ، وإرساء قواعدها وامتداد نفوذها ، فبعد عودة ابن تومرت من المشرق الإسلامي وشروعه في نشر دعوته

بين قبائل المصامدة في جبال الدرن ، كان أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من أول المستجيبين لدعوته ، وكان أقواهم دعاية لها ، ودفاعا عنها بين قبائل مضمودة البربرية ، حتى أصبح يطلق عليه منذ ذلك التاريخ " الشيخ أبو حفص " ، وكان أحد العشرة الذين انبنت عليهم دعائم الدعوة الموحدية ، وأولئك الذين بايعوه بالإمامة وأطلقوا عليه لقب المهدي في الرابع و العشرين من شهر رمضان سنة 515هـ / نوفمبر 1122م . وكان الشيخ أبو حفص أقوى العشرة وأنفذهم كلمة وأوسعهم نفوذا ، ولا أدل على ذلك من أنه عندما توفي المهدي بم تومرت وأوصى بالأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي فإن موت المهدي أخفي لمدة ثلاث سنين خوفا من عدم استجابة قبائل المصامدة لذلك لأن أبي حفص الهنتاتي لم يبايعه بعد .

وبعد ثلاث سنوات قال الشيخ أبو حفص لعبد المؤمن بن

علي : نقدمك كما كان الإمام يقدمك ، وإذ ذاك فقط

اطمأن عبد المؤمن وأشياخ الموحدين وأعلنوا للناس وفاة

المهدي بن تومرت وتوليه عبد المؤمن بن علي " الخلافة

" من بعده .



وبعد أن تولَّى أمر الدولة الموحدية "أبو محمد العادل بن أبي يوسف يعقوب المنصور" سنة (621 هـ = 1224م) عهد بولاية إفريقية إلى أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص، وكان في صحبته أخوه أبو زكريا، وقام الوالي الجديد بإعادة الهدوء والاستقرار بعد أن عكَّرت صفوها الفتن والثورات، وقام بحملات على الخارجين على سلطان الدولة، وما كادت الأمور تستقر حتى قفز على منصب الخلافة الموحدية أبو العلاء إدريس المأمون سنة (624 هـ = 1227م) بعد ثورة قادها ضد أخيه أبي محمد العادل، فرفض أبو محمد عبد الله الحفصي بيعته والدخول في طاعته، فما كان من الخليفة الجديد إلا أن كتب بولاية إفريقية إلى أبي زكريا يحيى، فقبلها على الفور وسارع من تونس إلى

القيروان، وتغلَّب على أخيه أبي محمد عبد الله،  
وتولى أمر البلاد سنة (625هـ = 1228م).

ملحق الصور





دينار السلطان أبو زكرياء يحيى 823-869هـ / 1230-1251م



دينار السلطان أبو زكرياء يحيى 823-869هـ/1420-1465م



دينار السلطان أبو زكرياء يحيى 823-869هـ/1420-1465م



دينار الأمير أبو زكرياء يحيى ( 647-627-1249-1230 )



دينار الأمير أبو عبد الله المستنصر محمد بن يحيى (1251-1276م)

الوجه :

أبو عبد الله / محمد بن الأَمراء / الراشدين  
الهامش : المستنصر / بالله المنصور /  
بفضل الله / أمير المؤمنين

الظهر :

المهدي الخليفة / الله الشكر لله /  
و الحول و القوة بالله  
الهامش : بسم الله الرحمن الرحيم /  
صلى الله على سيدنا / محمد لا إله إلا  
الله / محمد رسول الله

دينار حفصي

الحاكم : أبو محمد عبد الله المستنصر

القطر : 2،09 سم

مكان الضرب : بجاية



دينار الأمير أبو فارس "المتوكل" عبد العزيز بن أحمد (837-796-1434-1394)





## - أبو زكريا الحفصي مؤسس الدولة:

كانت سن أبي زكريا يوم بدأ حكمه سبعا وعشرين سنة هجرية، لكن ما أظهره من أول وهلة من براعة ومقدرة كان يدل على ما يتمتع به من نضج سياسي مبكر، ومهارة إدارية فذة، وسبق له أن حكم في منطقة إشبيلية بالأندلس، حيث كان والياً على بعض المقاطعات هناك. وبعد قليل من ولايته خلع أبو زكريا طاعة أبي العلاء إدريس خليفة الموحدين، ولكنه لم يدع لنفسه بالأمر؛ تحسباً للموحدين الذين كانوا في ولايته، واتخذ تونس عاصمة له، وبدأ في اكتساب محبة أهل أفريقية باتباع سياسة رشيدة، فأحسن معاملتهم، وخفف عنهم.

أعباء الضرائب، ونظر في أمورهم، وراقب عماله وولاته، واستعان بأهل الخبرة والكفاءة، وقرَّب الفقهاء إليه، فأسلت له البلاد قيادها ودانت له ويمكن اعتبار تاريخ تسلم أبو زكرياء الحفصي مقاليد السلطنة في تونس سنة 627هـ بداية الدولة الحفصية، وقد كانت تونس هي عاصمة هذه الإمارة الجديدة، واختفت بذلك القيروان التي لم تسلم في هذا الوقت من عمليات السلب والنهب من طرف القبائل الهلالية.

بعد أن توطدت أركان هذه الدولة، زحف الأمير الحفصي ( أبو زكرياء) على قسنطينة ثم بجاية فاستحوذ على هاتين المدينتين بدون عناء كبير وأسروا واليهما وهما أخوان من ذرية عبد

المؤمن، وهكذا جمع تحت سلطته في وقت قصير كامل أنحاء إفريقيا، حيث أنه أتته بيعة أهل طنجة وسبته وسجل ماسة كما أتته بيعة بني مرين في سياق صراعهم ضد الموحدين، ودعا له عدد من ثوار الأندلس، وقد أرسل أبو زكرياء سفنه المشحونة بالزاد والعتاد إلى المدينة الأندلسية بلنسية المحاصرة لكنها لم تستطع (السفن) أن تنجد المدينة المحاصرة ، التي ما لبثت أن سقطت في أيدي نصارى أرغونة 636هـ/1238م، على أن أبي زكرياء فتح أبواب دولته للمهاجرة من الأندلسيين وسار على نهجه من أتى بعده من الحفصيين ، وقبل وفاة أبي زكرياء كانت دولته تمتد من أحواز طرابلس شرقا إلى مدينة الجزائر غربا.

، وبدا كأنه سيعيد الوحدة إلى أقطار المغرب وهو ما يؤكد ابن خلدون. وتوفي الأمير الحفصي ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر جمادى الأخرى سنة 647هـ بمحلته بظاهر بونة ودفن من الغد بجامع بونة ، وكانت ولادته بمراكش سنة 599 هـ ، فكان عمره تسعة وأربعين سنة، وخلافته بتونس عشرين سنة ستة أشهر. وقد خلف الأمير أبو زكرياء ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الملقب بالمستنصر

647-675هـ/7249-1270م ، والذي أعلن نفسه أميراً للمؤمنين بعد سقوط بغداد بيد التتار عام 656 هـ ، وكان إعلانه كأمير للمؤمنين سنة 657 هـ / 1259 م وبإيعه شريف مكة بالخلافة .

واستطاع المستنصر أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء  
الحفصي أن يطور الدولة ويجعلها مقصدا للعلماء والأدباء  
واتخذ مكانة رفيعة على المستوى الدولي في زمانه، واهتم  
بالعاصمة الدولة وتطور العمران وازدهرت الأحوال العامة في  
أيامه. وفي عهد هذا الأمير تصدت قواته للحملة الصليبية  
الثامنة التي قام بها لويس التاسع على تونس في سنة  
668هـ/1270م.

وتولى بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن الواثق بن محمد  
المستنصر، ولد سنة 647هـ، وبويع ليلة موت أبيه ثم خلع  
نفسه، وباع لعمه أبي إسحاق، وذلك يوم الأحد ثالث ربيع  
الثاني سنة 678هـ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر.

وقد بويع المولى أبو زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن  
أبي بكر ابن أبي حفص عمر في غرة ربيع الآخر سنة ثمان  
وسبعين وستمئة، وكان ملكا شجاعا وفيه غلظة، ودانت له  
بذلك إفريقية، وفي سنة ثمانين وستمئة بعث ولده المولى  
عبد الواحد لجباية الوطن وأخذ مال هواره، فلما بلغ القيروان  
بلغه أن مرغم بن صابر الرياحي معه قائم يدعي أنه الفضل بن  
الواثق فكتب إلى أبيه بذلك، وفي سنة 681هـ عظم أمر  
الدعي\* وملك قابس واحتوى على أكثر البلاد.

فبعث إليه السلطان ولده أبا يحيى فتسلل عنه الناس وفر  
معظمهم، ووصل الداعي الفضل بن الواثق إلى القيروان  
فخرج إليه السلطان أبي إسحاق إبراهيم بجيش عظيم في شوال  
ونزل بالمحمدية، وفر عنه أكثر عسكره إلى الدعي ونهب

جميع ما كان معه هناك فرجع إلى تونس وأخرج نساءه  
ولما وصل بجاية لقيه ولده أبو فارس وكان عاملاً بها فخلع  
الخليفة أبي إسحاق نفسه لولده وتنازل له وتلقب من يومها  
بالمعتمد الذي دخل في نزال مع الدعي بمنطقة " وطأة قلعة  
سنان". ولكن لسوء الحظ فقد خان المعتمد أنصاره وجنده ،  
فأخذ وقتل ونهبت أمواله، ولما سمع أبوه الخبر خرج هارباً،  
فأدركه أهل بجاية فأخذوه وأثوابه إلى الدعي\* ، فقتله في  
التاسع عشر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمئة فكانت  
مدته ثلاثة أعوام وستة أشهر وستة وعشرين يوماً، ولجأ  
ولده المولى أبو زكرياء إلى بلاد المغرب.

وتولى الخلافة بعده السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بن  
أبي زكرياء يحيى الواثق المشهور بابي عصيدة، ببيع بتونس  
بإشارة الشيخ المرجاني ، في الثاني والعشرين من ذي  
الحجة عام 693 هـ، وتوفي بمرض الاستسقاء يوم الثلاثاء  
الثالث عشر من ربيع الثاني سنة 709 هـ، فكانت خلافته أربع  
عشرة عاما، وببيع بعده السلطان أبو يحيى أبو بكر بن عبد  
الرحمن بن الأمير أبا يحيى أبا بكر بن الأمير أبي زكرياء يحيى  
يوم وفاة أبي عصيدة، وقد لقب بالشهيد لأنه قتل شهيدا بعد  
ضرب عنقه يوم الجمعة سبعة وعشرين من ربيع الثاني سنة  
709 هـ، فلم يحكم إلا ستة عشر يوما.

وتداول بعد ذلك على الخلافة الحفصية الكثير من الأمراء نظراً  
للفتن الداخلية مما كان يعجل برحيلهم أو قتلهم، فلم تكن مدة  
حكمهم إلا يسيراً. ولكن لا بد في الأخير من الإشارة إلا أن هذه  
الدولة عرفت في سنواتها الأخيرة بعض الإنجازات على  
الصعيد السياسي والعسكري حيث تمكن الحفصيون في عهد  
ال خليفة أبو العباس أحمد الثاني الملقب بالمستنصر 772-  
792 هـ / 1370-1390م، من التغلب على منافسيه وإعادة  
وحدة الدولة. واستطاع أن يقف أمام هجوم النصارى على  
المهدية سنة 792 هـ / 1390م، فهزموهم واستعادت الدولة  
الحفصية شيئاً من هيبتها، وتمكن ابنه أبو فارس من الاستيلاء  
على تلمسان، وضم بعض الإمارات التي استقلت في عهد أبيه  
سنة 803 هـ / 1410م.

وخلفه ابنه الأصغر أبو عبد الله محمد المنتصر ابن الأمير أبي عبد الله محمد المنصور ابن السلطان أبي فارس بويه بالمحلة، وجددت له البيعة بتونس يوم عاشوراء سنة 838هـ، فمرض في الطريق وقبل وفاته عهد بالخلافة إلى أخيه أبي عمر وعثمان فوردا عليه من قسنطينة.

وفي عهد الأمير أبي بكر عمر الذي تمكن من القضاء على الفتن الداخلية التي كان يشعلها ويثيرها أبناء عمومة البيت الحفصي، وذلك سنة 850هـ/1446م، وهزم عمه أبي الحسن وتقدمت في عهده تونس في مجال الحضارة وربطت علاقات ومعااهدات تجارية مع فرنسا وسلاطين مصر والأندلس، وتمزقت وحدة الحفصيين .

بعد وفاته، وهاجم الإسبان سواحل مدينة تونس، حيث قاموا بمذبحة سنة 941 هـ/1534م، فكانت نهاية الحفصيين وبدأ الصراع عليها بين العثمانيين والإسبان، واستطاع العثمانيون أن يتغلبوا على الإسبان، وبذلك دخلت تونس في حكم الدولة الإسلامية في عام 981 هـ / 1568م.

والجدير بالذكر في النهاية، الإشارة إلى نقطة هامة في تاريخ هذه الدولة، وهي أن الكثير من المؤرخين للدولة الحفصية على تسلسل واحد لحكم هذه الإمارة حتى ابن خلدون الذي عاصر فترة من الحكم الحفصي يختلط الأمر عليه أحيانا، والأسباب هنا كثيرة أهمها أن البيت الحفصي كان في أصله بيتا غريبا عن بلاد تونس، وحين انتقل إلى إفريقية أراد - وهو فرع من الشجرة الموحدية المصمودية أن يهباً لنفسه مهذا

آمنا في إفريقية فلم يوفق لأنه اعتمد على الوافدين  
الأجانب، وخاصة الأندلسيين في إدارة الدولة.  
وسبب ثان هو كثرة المنافسين لكل أمير من أهل  
بيته، فإذا كانت مدن الدولة الحفصية الرئيسية  
ثلاثًا، هي تونس وقسنطينة وبجاية فإننا نجد  
الأمير الحفصي الحاكم في تونس بل في بجاية أو  
قسنطينة في حين ينفرد بتونس أمير منشق.











